المئذنة في كلاً من مصر والعراق
دراسة أثرية

إعداد
أسماء سيد أحمد سليم

أ.د حجاجي إبراهيم محمد
أستاذ الأثار الإسلامية المعهد العالي للسياحة بالغردقة
أ.د جمال عبد العاطي خير الله
أستاذ بقسم الأثار كلية الأداب _ جامعة طنطا

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة المئذنة المصرية بشكل تفصيلي والتأثير العراقي الواقع عليها مع دراسة مقارنة بين المئذنة المصرية والمئذنة العراقية من حيث معرفة مواد البناء، التكوين العام للمئذنة مع ذكر طرز المآذن العراقية؛ وذلك من خلال دراسة تفصيلية تحليلية.

الكلمات الافتتاحية:

المآذن في مصر ، المآذن في العراق ، المآذن دراسات أثرية.

المقدمة:

الحمد لله حمداً يوافي نعمه وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أولاً: المئذنة عنصر معماري هام في عمارتنا الإسلامية، ولها دور وضح وقوي على الرغم من أن هناك دراسات كثيرة تناولت المئذنة وبشكل تفصيلي إلا أن هذه الدراسة تناولت فكرة المقارنة بين المئذنتين العراقية والمصرية والتأثير الواقع عليها.

واتبعت في تناولي لهذا الموضوع أسلوب تحلياً ومنهجاً علمياً يقوم على دراسة طرز التخطيط للعنصر المعماري ومراحل تطوره.

واعتمدت على عدد من المصادر والمراجع من بينهم:

د/ منى بدر، أثر الحضارة السلجوقية.

ناهض عبدالرازق دفتر القيسي: الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، جامعة بغداد.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هامة.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في عرض بحثي هذا أملاً أن يضيف ولو سطر في بحر العمارة الإسلامية.

بدأت المئذنة الأولى بتكوين معماري بسيط خلال عصر الرسول (ﷺ) وكانت عبارة عن كتلة بنائية من اللبن مكان موقع هذا التكوين أغلب الظن فوق ركن المسجد وهو موقع يتميز بمتانة الأساس، حيث يلتقي جدار الواجهة مع الجدار العمومي عليه.

وبنت مآذن مسلمة بن مخلد الأنصاري في سنة ٥٣هـ/٦٧٣م في الأركان الأربعة لجامع عمرو بن العاص، وقد وفق المعماري في اختيار هذا الموقع الذى يتميز بمتانة الأساس حيث يلتقي جدار الواجهة والجدار المقابل له مع الجدارين العمودين عليهما.

أما في جامع أحمد بن طولون[١] راعى المعماري موقع المئذنة بحيث لا تضيق على المصلين فقام ببنائها ٢٦٣–٢٦٥هـ/٨٧٦–٨٧٩م من الأجر في الزيادة الشمالية الغربية من المسجد منفصلة تماماً وقد أعاد بناءها السلطان لاجين بالحجر في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م[٢].

ويلاحظ:– المعماري المسلم حرصه على وضع حدة المئذنة ضمن وحدات المنشأة المكونة للواجهة الرئيسية التي تشرف من خلالها المنشأة على الشارع العمومي ومن هذه المآذن التي لا ترتبط بالمدخل مباشرة مئذنتا جامع الحاكم بأمر ٣٩٣هـ/١٠٠٣م وتشغل كل منهما ركناً بارزاً من أركان الواجهة الشمالية الغربية، إحداهما في الركن الغربي، والأخرى في الركن الشمالي، وهذا الموقع وجد قبل ذلك في جامع عمرو بن العاص، الجامع احتوى على مئذنة في كل ركن من أركانه الأربعة علي أن جامع الحاكم بعد أقدم مثل قادم مثل قائم في مدينة القاهرة.

---

(١) أنشئ ابن طولون جامعه في إطار التخطيط ذو الأربعة أروقة التي تحيط بصحن مكشوف في الوسط وحدد مواد بنائه وعناصره الإنشائية الحاملة ممثلة في الدعامات؛ للاستزادة راجع: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٦٧.

محمود عكوش: تاريخ وصف الجامع الطولوني، دار الآثار العربية، مطبعة دار الكتب، ١٩٢٧، ص٩٠.

(2) Kaml Eddine, (SAMAH) the Birth and Revolution of minarets in Island in the Bullet of facility of Cairo University, 1955, p165.

حيث اندثرت مآذن جامع عمرو بن العاص في مجموعة المنصور قلاوون ٦٨٤هـ/١٢٨٤م تقع المئذنة في الركن الشمالي من ضريح المنصور قلاوون غير مرتبطة بالمدخل العمومي مباشرة. وفى جامع الناصر محمد بن قلاوون ٧١٨هـ/١٣١٨م تقع المئذنة الشرقية في الزاوية عند التقاء الواجهة الشمالية الشرقية بالواجهة الجنوبية الشرقية.

وفى مدرسة السلطان ٧٥٧–٧٥٨هـ/١٣٥٦–١٣٥٧م اختير لمآذنها ركنا الواجهة الجنوبية الشرقية وعلى جانبي المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية الشرقية.

وفيما يتعلق بالمئذنتين على جانبي المدخل الرئيسي فهو تقليد جديد يُعد الأول من نوعه في مآذن القاهرة اقتبس من المداخل السلجوقية الضخمة المرتفعة حيث تميز المدخل السلجوقي بوجود مئذنتين على جانبيه[١].

وفى مدرسة معتز الحجازية ٧٦١هـ/١٣٥٩م تقع المئذنة في الطرف الأيمن للواجهة الشمالية الغربية وفى مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠–٧٧١هـ/١٣٦٨-١٣٧٠م تعلو المئذنة الواجهة الشرقية الرئيسية على يمين القبة الكبيرة وفى مدرسة خانقاه الظاهر برقوق[٢] ٧٨٨هـ/١٣٨٦م تقع المئذنة في الطرف الأيمن في أعلى الواجهة الرئيسية وفى خانقاه الناصر مزج ٨٠١-٨١٣هـ/١٣٩٨–١٤١٠م

(١) عبدالله كامل موسى: المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار الوفاء للنشر، ٢٠١٤، ص٩٢.

(٢) إيمان عمر شكري: السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص٥٠.

احتوت الواجهة على الرئيسية الشمالية الغربية على مئذنتين متماثلتين وفى جامع المؤيد شيخ ٨٢٢–٨٢٣هـ/١٤١٩–١٤٢٠م.

وفى مدرسة الغوري ٩٠٩-٩١٠هـ/١٥٠٣–١٥٠٤م تعلو المئذنة الواجهة الجنوبية الشرقية في الطرف الغربي منها وفى الجامع الأزهر تقع مئذنة السلطان الخوري ٩١٥هـ/١٥١٠م أعلى الرواق الشمالي الغربي للجامع وتتبع مئذنة السلطان الخورى ٩١٥هـ/١٥١٠م بغرب اليسار نمط المآذن المستقلة تماماً عن المنشأة الدينية، حيث تقع المئذنة في الزاوية الجنوبية الغربية ولتأثر وضع المئذنة على المدخل في تخطيطه وكتلته من الناحية الإنشائية تأثيراً مباشراً فقد كان لابد لحمل هذا الارتفاع الشاهق من قاعدة قوية وأساس متين فنجد الكتلة البنائية أكثر ضخامة وارتفاعاً(١).

ومن المآذن التي توسطت المدخل مئذنة الجامع الأزهر حيث كان المعمار الفاطمي الفضل في زيادة الاهتمام بالمدخل وإبرازه، وهو الأمر الذى كان له أكبر الأثر في ابتكار المعماري بناء المئذنة فوق المدخل.

وتُعد مئذنة الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م(٢) أقدم مئذنة قائمة في عمارة المئذنة المصرية بمدينة القاهرة تعلو المدخل الرئيسي، ومن المآذن التي تعلو المدخل الرئيسي أيضاً مئذنة المشهد الحسيني الأيوبية ٦٣٣-٦٣٤هـ/١٢٣٦-١٢٣٧م والتي لم يتبقى منها سوى القاعدة ومئذنة المدرسة الصالحية ٦٤١هـ/١٢٤٣م ومئذنة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ/١٣٠٣م.

كما أننا نجد كثير من المآذن التي تقع على يمين كتلة المدخل المئذنة الشمالية الغربية في جامع الناصر محمد بن قلاوون، ومئذنة المدرسة الأقبغاوية (٧٤٠هـ/١٣٤٠م) ومئذنة قايتباي بالجامع الأزهر ٨٧٣هـ/١٤٦٩م، ومئذنة قايتباي بالقرافة ٨٧٧-٨٧٩هـ/١٤٧٢م ومئذنة مدرسة أبوبكر مزهر ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ومئذنة أزبك اليوسفي ٩٠٠هـ/١٤٩٤م ومئذنة مدرسة قرقماش٩١١-٩١٣هـ/١٥٠٥-١٥٠٧م.

يتضح أن المعماري المسلم نوع في اختيار موقع المئذنة حسب ظروف المنشأة نفسها. على أنه يلاحظ بصفة عامة أنه حرص على وضع المئذنة ضمن وحدات المنشأة المكونة للواجهة الرئيسية التي تشرف من خلالها المنشأة علي الشارع العمومي.

أيضاً اختيار موقع المئذنة راعى فيها المعماري الأحكام الفقهية من ضرورة تجنيب المنشأة شغل المئذنة أو غيرها لأي مساحة من مساحات الصلاة فيها حتي لا تضيق على المصلين(٣).

---

(١) توفيق أحمد عبد الجواد: العمارة الإسلامية، ص٢٢٩.

(٢) للاستزادة عن مشهد الجيوشي راجع:

Shafei Farid; the Mashhad al juyushi Archeological notes and Studies in Islamic art and Archite Cairo in honor of Professor KAC Crewel Cairo, 1965, p237.

أحمد عبد الرازق: تاريخ مصر، ص٢٤٤

أمال العمرى علي الطايش: العمارة الإسلامية، ص٤٨.

(٣) عبد الله كامل، المآذن في العمارة المصرية، ص١٠٧.

أما عن مادة البناء:

المئذنة الأولى في الإسلام والتي تحولت من مجرد كتلة معمارية بسيطة إلي مرحلة تميزت فيها المئذنة بكيان معماري مستقل أطلق عليه اسطوان مربعة تعرف بالمطمار في قبلة المسجد ومن المرجح أن هذا المطمار بني باللبن وأن الخليفة عثمان بن عفان عندما زاد في المسجد النبوي هدمها وأقامها كلها بالحجارة.

كما تقدم أن زياداً بن أبيه وإلى العراق من قبل معاوية هدم الجامع الأول وأعاد بناءه من جديد في سنه ٤٥هـ/ ٦٦٥م وبنى منارته بالحجارة ومن المرجح أن جامع البصرة كان يشمل على مئذنة خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وأن هذه المئذنة كانت مشيدة باللبن وأن زياداً هدمها وبناها بالحجر، كما أن جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، كان يحتوي على مئذنة قبل مآذن مسلمة بن مخلد الأنصاري من قبل معاوية هدهما في سنة ٥٣هـ/٦٧٣م وأنشأ به أربع مآذن في أركانه الأربعة، كما أنشأ المآذن في بقية مساجد الفسطاط ومن المرجح أن هذه المأذون كانت مشيدة باللبن.

وفى جامع أحمد بن طولون شيدت المئذنة من الأجر ولم تستمر هذه المئذنة بمادة بنائها الأجرية طويلات، حيث أعيد بنائها بالحجر، والمئذنة الحالية لجامع ابن طولون مبنية بالحجر خلال عهد السلطان لاجين.

وفى العصر الفاطمي لم تصل إلينا مئذنة الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، وتطورت عمارة المساجد تطور كبير وأخذ يقل استخدام الأجر في البناء تدريجياً وبدأ استخدام الحجارة أول الأمر في العصر الفاطمي، وذلك بالخلط مع الأجر في جدران مسجد الحاكم بأمر الله.

ثم استخدمت في المئذنتين في القسم الأول الذى يرجع إلى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، والذى يتكون من القاعدة والطابق الأول المثمن في المئذنة الغربية والذى يتكون من القاعدة والطابق الأول الأسطواني في المئذنة الشمالية.

أما القسم العلوي في المئذنتين بُني بالأجر خلال عهد الأمير بيبرس الجاشنكير[١] في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وكان هذا القسم قد سقط في زلزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م فأعيد بناؤه في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م ويتكون هذا القسم من الطابق الثاني المثمن والمبخرة وقد استخدم الأجر في هذا القسم من المئذنتين بغية التخفيف وبناء القسم الذى وصل إلينا من عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بالحجارة يؤكد أن مصر عرفت المآذن الحجرية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في جامع الحاكم بأمر الله في المئذنتين.

وفى مسجد ومشهد الجيوشي بنيت جدران المسجد من الأحجار والمئذنة من قاعدتها إلى قمتها من الأجر، وفى مشهد أبي الغضنفر بنيت المئذنة كلها من الأجر المغطى بطبقة من الجص، وكذلك بنيت بقية جدران وقبة المشهد من الأجر أما شرفة المئذنة فهي من الخشب محمولة على كوابيل ومساند خشبة.

---

(١) الجاشنكير: قال المقريزي الملك المظفر ركن الدين بيت الجاشنكير هو الأمير الذي يقوم بتذوق المأكولات والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس سم أو نحو؛ راجع: المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٧٤.

سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٧٧٤م، ص٤١٠.

واستمر استخدام الحجارة في العصر الأيوبي[١] كما استمرت العناية برصها وصقلها وتنظيمها فبني الجزء الأسفل من مئذنة المشهد الحسيني المتمثل في القاعدة المربعة من الحجر.

بالرغم من ذلك فقد ظل الأجر مستخدماً في البناء فبنيت مئذنة المدرسة الصالحية من قاعدتها إلى قمتها بالأجر المغطى بطبقة من الجص، كذلك بنيت مئذنة زاوية الهنود من الأجر وفى عصر المماليك البحرية استخدم الحجر بناء القاعدة في مئذنة مدرسة تربة أم الصالح، وعلى الرغم من أنه لم يتبقى من هذه المئذنة سوى هذه القاعدة إلا أنني أرجح أن القسم العلوي الذى كان يعلوها كان مشيداً من الأجر.

وفى مئذنة مجموعة المنصور قلاوون[٢] بنيت القاعدة المربعة والطابق الأول المربع من الحجر وهو القسم الذي يرجع إلى عهد المنصور قلاوون، أما الطابق الثاني الأسطواني والقمة فهما من تجديد الناصر محمد بن قلاوون.

التكوين العام للمئذنة:

كانت المئذنة الأولى خلال عصر الرسول (ﷺ)[٣] عبارة عن تكوين معماري مربع من قاعدته إلى أعلاه، وشهدت هذه المئذنة تطور في عهد الخليفة عثمان بن عمان ﷺ وفى خلال عهد عثمان بن عفان ﷺ أصبحت المئذنة وحدة معمارية لها طرازها الخاص والمميز عن باقي وحدات المسجد المعمارية واستخدم في بنائها الحجر، وأصبحت وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينة الهامة الخاصة بأداء شعائر الصلاة، وقد تميز طراز المئذنة بالتكوين المربع من القاعدة إلى ما يقرب القمة.

كما أن الخليفة عثمان بن عفانﷺ: نشأ في المسجد الحرام وجوامع صنعاء والبصرة والكوفة وعمر وبن العاصﷺ بفسطاط مصر منارات على نمط المسجد النبوي.

أما التكوين المعماري المربع للمئذنة المصرية قد شهد تطور خلال الفترة من ٥٣هـ/٦٧٣م وإلى ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، وهو التطور الذي تلمسه بوضوح في مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله ٣٩٣هـ/١٠٠٣م.

أقدم المآذن التي وصلت إليها القاهرة في القسم السفلي من المؤذنين والذى يرجع إلى عهد الحاكم بأمر الله، والذى يتكون من قاعدة مربعة المسقط يعلوها طابق مثمن في المئذنة العربية وفى المئذنة الشمالية يتكون من قاعدة مربعة المسقط يعلوها طابق أسطواني.

وقد حافظ المعماري على وجود القاعدة المربعة في المئذنتين بينما نوع في تصميم الطابق الأول الذى يلي هذه القاعدة وهو الأمر الذى يدل على أن المئذنة المصرية للمدينة المأثرة من ٥٣ــ ٣٦٣هـ/٦٧٣ــ١٠٠٣م شهدت تطوراً كبيراً تمثل في انتقالها من مجرد بدن مربع من قاعدته إلى قمته

(1) Abou Seif, D. the Minrets of Cairo second Printiny The American University in Cairo, 1987, p45.

(٢) استمر استخدام العصر المملوكي على استخدام مادة الحجر في بناء مآذنه، للاستزادة راجع:

محمد سيف النصر أبو الفتوح: مدرسة السلطان قلاوون بالنحاسين بالقاهرة، دراسة أثرية في ضوء وثيقة جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، ١٩٨٤، ص١٣٠.

آمال العمري: دراسة جديدة على ضريح المنصور قلاوون بالنحاسين، مجلة دراسات آثرية إسلامية، هيئة الآثار المصرية، المجلد الثالث، ١٩٨٨م.

(٣) سليمة عبدالرسول: مسجد المدينة وأثره في مساجد العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٦٥، ص٩٧.

يرقى إليه من خلال درجات تلتصق به من إحدى جهاته الأربع إلى وحدة معمارية تحتوي على عناصر معمارية تتمثل في جعل البدن المربع قاعدة. ثم تعلوها طوابق تتوجها قمة وهو الأمر الذي يمكن أن نلمسه في مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله. وقد سقط القسم العلوي من المئذنتين نتيجة الزلزال الذي أصاب القاهرة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م ثم أعيد بناؤه سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م والمرجح أن هذا القسم في المئذنتين إنما أعيد على نمط القسم القديم الذي سقط وبُني بالأجر(١).

وأقدم مئذنة قائمة حالياً في مدينة القاهرة مئذنة الجيوشي(٢) تتكون من قاعدة وطابقين وقمة تتعاقب طوابقها من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول مربع يعلوه طابق ثاني مثمن ثم تتوجها قبة نصف كروية ويختلف التكوين العام لهذه المئذنة عن مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله. حيث أن الطابق الذي يلي القاعدة في مئذنة الجيوشي جاء مربعاً بينما في المئذنة الغربية في جامع الحاكم مثمناً وفي المئذنة الشمالية في جامع الحاكم أسطوانياً(٣).

ومن الجديد بالذكر أن العصر الفاطمي يعد عصراً تباينت فيه الطرز المعمارية على الرغم من قلة مآذنه التي وصلت إلينا.

حيث أنه في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي جاء التكوين الذى تتعاقب فيه طوابق المئذنة مربعة فمثمنة كما في ومئذنة جامع الحاكم بأمر الله الغربية.

والتكوين الذي تتعاقب فيه طوابق المئذنة مربعة فدائرية كما في مئذنة جامع الحاكم بأمر الله الشمالية.

وفى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي جاء التكوين الذي تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول مربع، يعلوه طابق ثاني مثمن تتوجه قمته كما في مئذنة الجيوشي(٤).

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي جاء التكوين الذي تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول مثمن تتوجه قمته مبخرة، كما في مئذنة مشهد أي الغضنفر.

وفي العصر الأيوبي استقر الطراز المعماري للمئذنة بمدينة القاهرة على نمط طراز القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي الذي تمثله مئذنة أبي الغضنفر، ويتضح ذلك حالياً في مئذنة المدارس الصالحية، وفى مئذنة زاوية الهنود(٥).

وفي عصر المماليك البحرية تباينت الطرز المعمارية لمآذن القاهرة، حيث نجد طرز تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول مثمن، يعلوه طابق ثاني أسطواني تتوجه قمته مبخرة ونجد ذلك كما في مئذنة سلاو ومبخرة الجادلي.

طرز تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول أسطواني يعلوه طابق ثاني أسطواني، يعلوه جوسق تتوجه قمة بصلية، كما في المئذنة الشمالية الغربية لجامع الناصر محمد بن قلاوون.

---

(١) فريد شافعي: العمارة العربية، ص٤٠٩.

(٢) سعاد ماهر أحمد: مساجد مصر وأوليائها الصالحون، ج٢، ص٢٨٤.

(٣) أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، ص٧٣.

(٤) منى بدر: أثر الفن، ص٥٢٢.

(5) Cres Well, Muslim Architecture of Egypt, P 64.

طراز تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول مثمن يعلوه طابق ثاني، يعلوه جوسق تتوجه قمة كمثرية، كما في مئذنة جامع الأمير شيخو(١).

وطرز تتعاقب فيه طوابق المئذنة من قاعدة مثلثة المسقط ويعلوها طابق أول مسدس الشكل، يعلوه طابق ثاني أسطواني يعلوه جوسق تتوجه قمة كمثرية.

وأصبح وظلت المئذنة المصرية في تطور إلا أن وصلت إلى أوج تطورها خلال عصر المماليك الجراكسة.

التأثير العراقي على المئذنة المصرية:

من التأثيرات الوافدة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي على المئذنة المصرية بمدينة القاهرة تصميم المئذنة الملوية بجامع أحمد بن طولون (٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٩م) حيث أنه جاءت مئذنة ابن طولون أقرب في التصميم إلى ملوية سامراء وملوية أبى دلف(٢).

جاءت مئذنة ابن طولون على هيئة مربعة بينما خطط كل من جامع سامراء وجامع أبى دلف على هيئة مستطيلة، وكذلك وزعت البلاطات فى ظلات كل من جامع سامراء وجامع أبي دلف بطريقة تختلف عن توزيعها في ظلات جامع أحمد بن طولون خاصة ظلة القبلة وكذلك تختلف عقود كل من جامع سامراء وجامع أبي دلف من حيث تصميمها وعقود جامع أحمد بن طولون(٣).

وفكرة السلم الصاعد الذى يلتف من الخارج ويقتطع من جسم البناء ما يعادل عرضه قد أوحت بها فكرة مشابهة في العراق نفسه في المعبد الأشوري المسمى بالزيقورات، وكانت بقايا منه لازالت موجودة وكشف عنها منذ نحو ١٠٠سنة في منطقة خورسيا بادا القديمة التي تقع على بُعد نحو ٢٥كم من مدينة الموصل، ومنه انتقل هذا الشكل والذي أكسب الملوية الشكل الإسلامي الجذاب من حيث استدارتها ورشاقتها(٤).

ويظهر التأثير والتشابه بين مآذن المسجد الجامع بسامراء(٥)، وجامع أبي دلف، وجامع طولون.

وهذا الشكل المميز لطراز هذه المآذن والذي يشكل السلم الخارجي حول بدن المئذنة أهم ملامحه أثار انتباه الآثاريين لمحاولة البحث عن أصل له واتجهت الآراء إلى عقد مقارنة بين تشابه السلالم الخارجية للملوية وسلالم الزيقورات العراقية القديمة والتي تقع على الجوانب الخارجية لها وزاد من علاقة التشابه وجود الدخلات الغائرة في قاعدة الملوية بسامراء والجدران الخارجية للزيقورات.

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية، ص٢٤.

(٢) عبدالله كامل موسى: تطور المئذنة، ص٢٣٣.

(٣)عبدالله كامل موسى: المرجع نفسه، ص٢٣٤.

(٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق الجمهورية العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٢، الجزء الأول، ص١١٢.

(٥) وتعرف منارة هذا الجامع باسم الملوية ولاتزال قائمة إلى اليوم وتقع على بُعد ٢٥متر من وسط الجدار الشمالي للجامع، والمئذنة مخروطية مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة المسقط طول ضلعها ٣٢متراً ويبلغ ارتفاع الملوية من سطح الأرض ٥٢متراً ويبلغ ارتفاعها من مستوى سطح قاعدتها ٥٠متر وهذه الملوية شبيهتها مئذنة أبي دلف؛ راجع: محمد عبد الستار عثمان: دراسات أثرية في العمارة العباسية والفاطمية، ٢٠٠٣م، صـ٨٤.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن عمارة هذه المآذن جاءت بمقاييس ضخمة لتناسب عمارة هذه المساجد فضخامة المسجد الجامع واتساع مساحته فرض ارتفاع بناء مئذنته ارتفاعاً أي أن اتساع مساحة المسجد كان لابد من الارتفاع بناء المئذنة.

ومن الجدير بالذكر أن المآذن اختلفت في أشكالها وطرازها باختلاف الأقاليم الإسلامية، حيث بنيت الصوامع المربعة بسوريا وشمال أفريقيا. ومآذن مصر الأسطوانية والمضلعة ومآذن تركيا المشوقة ذات البدن الأسطواني المستدق.

أما في العراق فنرى تنوعاً في أشكال المآذن، حيث نجد منها الأسطوانية والملوية والمثمنة والمآذن ذات البدن الأسطواني المنتظم هي أكثر شيوعاً في العراق.

وأقدم مئذنة أقيمت في بغداد هي منارة جامع الخليفة العباسي المنصور التي لا أثر لها في الوقت الحاضر، حيث احترقت سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م).

وعن طرز المآذن العراقية نجد منها:

١) طراز لولبي (حلزوني).
٢) طراز أسطواني.
٣) طراز مثمن.
٤) طراز أسطواني شاهق الارتفاع.

أولاً: الطراز اللولبي (الحلزونية):

هذا الطراز من أكثر العناصر الإسلامية لا في سامراء فحسب بل في العالم الإسلامي كله إذ إنها تختلف عن جميع المآذن والأبراج في العالم الإسلامي، ومن مميزاتها المعمارية جعل السلم الذي يصعد إلى قمتها ليس بداخلها كما هو مألوف بل يدور حول المئذنة من الخارج على غرار الزقورات السومرية والأشورية.

ولا يوجد في العالم الإسلامي مئذنة بنيت على غرار مئذنة جامع الجمعة في سامراء وجامع أبي دلف في المتوكلية شمال سامراء سوى مئذنة جامع ابن طولون في مصر.

وبذلك نجد هنا التأثير العراقي واضح في شكل وتصميم هذه المئذنة المصرية وإلى جانب المآذن الملوية أقيمت في سامراء مئذنة أسطوانية الشكل تم الكشف عنها في مبنى ضريح أبي دلف[١].

ويمكن القول بأن هذا النوع من المآذن العراقية هو ابتكار إسلامي صميم توصل إليه البناء العراقي نتيجة لتقدم ونضوج العمارة الإسلامية، وتطورها إلا أن الطراز الأسطواني هو الشائع بصورة خاصة في بناء جميع المآذن العراقية خلال مختلف العصور.

ثانياً: المآذن الأسطوانية:

أن اقدم مئذنة أسطوانية أقيمت في العراق هي مئذنة جامع الحجاج في واسط سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦م) أما المئذنة الثانية عثر عليها في مدينة المتوكلية في سامراء تقوم بداخلها سلالم تؤدي إلى الشرفة على غرار مئذنة جامع الخفافين في بغداد. ومئذنة جامع الصاغة أو الحظائر (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) والتي تعتبر أقدم مئذنة قائمة في بغداد، كما تعتبر نموذجاً للمآذن البغدادية التي أقيمت على

(١) اعتماد يوسف القيصري: التراث الحضاري المعماري الإسلامي في العراق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الهيئة العامة للآثار، بغداد، ص٢٢١.

غرارها المآذن خلال مختلف العصور، ومن المآذن ما زودت بشرفيتين منها مئذنة جامع الخلفاء[١] (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) مع زيادة عدد صفوف المقرنصات التي ترتكز عليها شرفتي المئذنة وفي المأذن الأسطوانية التي ترتكز عليها شرفتي المئذنة وفي المآذن الأسطوانية نجد بدنها الأسطواني يقوم من فوق أرضية الجدران على قاعدة مربعة أو مثمنة ومن أمثلة ذلك منارة جامع مرجان (٧٥٨هـ/١٣٦٠م)[٢].

ثالثاً: الطراز الأسطواني الشاهق الارتفاع:

في شمال العراق شاع بناء نوع من المآذن اختلفت عن مآذن بغداد من حيث الشكل ومادة البناء منها مئذنة الجامع النوري في مدينة الموصل والمعروفة بمنارة الحدباء (٥٦٦هـ/١١١٧م) امتازت هذه المنارة بجمالها الزخرفي وعظمة ارتفاعها الشاهق إذ يبلغ ارتفاعها مع القاعدة (٥٥) قدماً، وكان لمئذنة سلمان من أول القاعدة المنشورية ويلتقي إحداهما منفذ آخر يبدأ من منتصف القاعدة تقريباً وهي طريقة غريبة في تشيد المآذن.

ولعل أبرز ما في هذه المئذنة أسلوب الزخارف الأجرية المخطية للبدن والجزء العلوي من القاعدة المنشورية، إذ اعتقد الفنان في زخرفة الأجر بوصفه بمستويات مختلفة ليحصل على النمط الزخرفي لكل من الأنطقة السبلة للبدن والأوجه الأربعة للقاعدة المنشورية ونتيجة لاختلاف رصف الأجر بين الأفقي والقائم والمائل اختلفت مستويات الرصف بين السطحية لتصفي من خلال الظلال أشكالها الزخرفية، وكان لهذا النمط من المأذن تأثيره على المآذن المعاصرة واللاحقة في الموصل والمناطق المجاورة لها، وظهر هذا التأثير واضحاً في بناء مئذنة أربيل وسنجار وداقوق في كركوك (٥٨٠-٦٣٠هـ) وبناء بعض مآذن الموصل المتأخرة منها مئذنة جامع الأغوان الذي شيد سنة (١١٢هـ/١٧١٣م) ومئذنة جامع الجويجي (١٠٧٠-١٦٩٥م) ومئذنة جامع العمرية في منطقة باب البيض (٩٧٠هـ/١٥٥٩م).

وقد استخدمت الحجارة والجص في بناء جميع هذه المآذن ما عدا منارة الموصل حيث استخدم الأجر والحجارة في بنائه.

رابعاً: الطراز المثمن:

ويوجد نوع آخر من المآذن العراقية تعتبر فريدة من نوعها وشكلها عن المآذن العراقية، والتي لا تزال قائمة إلى الوقت الحاضر محتفظة بعناصرها المعمارية منها منارة بنيت في سنة (٣٨٦-٤٨٦هـ/٩٩٦-١٠٩٣م) بدن المئذنة أقيم على قاعدة مكعبة الشكل يقوم فوقها بدن مثمن من سطح القاعدة إلى قمتها، وقد استخدمت الحجارة والجص في بنائها، وفتحت في جدرانها نوافذ صغيرة لكي يسمح بمرور الضوء والهواء إلى داخل جسمها المجوف. أما في العصر الصفوي استمرت ظاهرة بناء المآذن الأسطوانية مع ظاهرة تسقيف شرفة المئذنة لحماية المؤذن من الظروف الجوية وهذه الظاهرة وجدناها في بناء مئذنة ملوية سامراء. إلا أنها أتلفت ولم يصل إلينا منها سوى الحفر التي

---

(١) جامع الخلفاء من أكبر الجوامع ببغداد وقد عاش هذا الجامع أكثر من ألف سنة وأهم تجديد أنه ما قام بها المستنصر سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) حيث أنه هو من قام ببنائه وتجديده بصورة كاملة، وهي تعد أضخم وأطول مأذن بغداد وصارت تدعى بمئذنة سوق الغزل. اعتماد يوسف القصيري: التراث الحضاري، ص٨٧.

(٢) للاستزادة عن هذا الجامع راجع/ ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي أكرم محمد بن عبدالكريم الجزري: الكامل في التاريخ، مصر، ١٣٧٥، ص١٣٦؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس أحمد، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٢٧، ص١٢٩.

كانت تقوم فيها الأعداد مما يدل على أن أصولها عراقية، وليست مقتبسة من إيران، كما اعتقد البعض، كما برزت ظاهرة تسقيف شرفة المئذنة في بناء مآذن الأضرحة التي أقيمت في مدينة بغداد منها مئذنة ضريح الإمام موسى الكاظم في بغداد ومئذنة مراقد الإمام علي في النحيف الأشرف والعباسي والحسين في كربلاء.

وقد امتازت مآذن العراق القائمة في الأضرحة بطلاتها الصفائح رقيقة من الذهب في كساء سطحها بدلاً من استخدام الأجر والقراميد الخزفية في زخرفتها كما في مآذن جوامع بغداد.

وهذه الظاهرة أيضاً استخدمت خلال العصر الصفوي ففي سنة (١٢١١هـ/١٧٩٦م) تم كساء المآذن الأربعة لضريح الإمام الكاظم بناء على أمر من أغا أحمد شاه القاجاري لإكمال ما بدأه الصفويون في هذا المشهد ومآذن مشهد الإمام علي في سنة (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) بنيت بأمر من السلطان عبدالحميد خان الذي أمر بإعادة لبناء المنارة القائمة في الزاوية الشمالية حيث تم رفع ما عليها من صفائح الذهب ومن ثم أعيد بناؤها على طرازها السابق وأعيدت الصفائح إلى وضعها الأول. كما شاع في هذه المرحلة بناء أكثر من مئذنة في بناء المسجد منها بناء أربعة مآذن لضريح الإمام موسى الكاظم في بغداد، ومنارتي ضريح الشيخ عبدالقادر وضريح مشهد الإمام علي ومقام الحسين والعباسي، وجامع الأصفة في بغداد (بناء داود باشا) والمدرسة الشرابية في واسط.

وفي العصر العثماني احتفظت المئذنة البغدادية بطرازها الخاص بها دون التأثر بطراز المآذن العثمانية الذي شاع في بناء مآذن معظم الأقطار الإسلامية التي خضعت للحكم العثماني.

ومن الملاحظ في المآذن العراقية أن المعمار العراقي كان تأثره بعمائر الأقاليم المجاورة له قليلاً، ولربما نتج هذا عن رغبة المعمار العقاري في الاحتفاظ بالنظم القديمة الأصلية مع إحداث بعض التطورات عليها، كما تميزت هذه العمائر بخصائص بغدادية في الشكل العام، وطريقة البناء متمثلة باستعمال المواد الزخرفية[١].

وعن تأصيل الطراز الأسطواني للمئذنة العراقية فهو من قصر الأخيضر ومئذنة جامع الرقة (٥٦١هـ/١١٦١م)[٢]، وبعد ذلك انتقل هذا الطراز من العراق إلى إيران وأواسط آسيا ثم الأناضول حتى أصبح أحد الخصائص المعمارية البارزة للعمارة الأناضولية.

ولتكوين المعماري للمآذن في المدارس المصرية[٣]، فكان معظمها يتكون من طابقتين أو ثلاثة طوابق تعلوه القاعدة ذات المقطع المربع، حيث كان يعلو هذه القاعدة طابق مثمن، يعلوه طابق مثمن آخر، ثم يعلوه طابق أسطواني الشكل. وكان لكل طابق شرفة بارزة عند بدن المئذنة تحملها عادة حطات من المقرنصات وهذه الشرفة كانت غالباً ما تأخذ شكل الطابق الذي تعلوه.

---

(١) من أشهر الأضرحة في بغداد ومن أهم مميزاته أنه به أربع مآذن في عام ٩٧٨م/١٥٧٠م، ثم بناء المئذنة الشمالية الشرقية، وفي عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٦م تم إنشاء المآذن الثلاثة الكبرى وتسقيف شرفاتها، راجع/ اعتماد يوسف القصيري: التراث الحضاري، ص١١٩؛ Doris Behrens Abousei:, Cairo the Minarets of Caito, the American Universty in Cairo, press, Cairo, 1985, p33.

(٢) فريد شافعي: العمارة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص١٦٦.

(٣) محمد حمزة إسماعيل الحداد: الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، المجلد الأول، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ص٤.

ومن الجدير بالذكر أن المئذنة قد تأثرت في العصر الفاطمي بالمآذن المغربية ومنها مئذنة جامع القيروان (١٠٥هـ/٧٢٤م) تلك المئذنة التي اتخذت نموذجاً للمآذن في بلاد المغرب والأندلس، إلا أن سرعان ما تطورت المئذنة المصرية تطوراً محلياً، واكتسبت طابعاً خاصاً بها ظل يواصل تطوره خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ويظهر ذلك واضح في مئذنة الجيوش (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، وهي التي تمثل بداية ظهور طراز المئذنة المصرية المعروفة بطراز. وهو الطراز الذي استمر في القرن (١٤م) ومن أمثلته الباقية مئذنة أبو الغضنفر، ومئذنة زاوية الهنود، ومئذنة المدرسة الصالحية، ومئذنة منشأة سلاوسنجر الجاولي، ومئذنة خانقاه الأمير قوصون بقرافة السيوطي (٧٣٥هـ/١٣٣٦م) والتي تعتبر هذه أكثر أمثلة هذا الطراز اتقاناً وآخرها[١].

أما عن التأثير العراقي على المئذنة المصرية نجده في المئذنة ذات السلمين، حيث نجد في المآذن المصرية تشمل من داخلها على سلمين بحيث لا يرى الصاعد في إحداهما الهابط من السلم الآخر، وتمثل ذلك في مئذنة أزبك اليوسفي (٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، ومئذنة خاير بك، ومئذنة الغوري بالجامع الأزهر (٩١٥هـ/١٥٠٩م).

المئذنة الملوية:

هي إحدى معالم العراق المميزة بسبب شكلها الفريد فهي إحدى آثار العراق القديمة المشهورة بنيت في الأصل بالمسجد الذي أسسه المتوكل بالله العباس عام (٢٣٧هـ) في الجهة الغربية لمدينة سامراء بتصميم المعماري دليل بن يعقوب، والذي كان يعد في وقته من أكبر المساجد في العالم الإسلامي المئذنة الملوية، جاء اسمها من شكلها الأسطواني الحلزوني يبلغ ارتفاعها ٥٢ متراً، وترتكز على قاعدة مربعة ضلعها ٣٣م، وارتفاعها ٣م، يعلوها جزء أسطواني مكون من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع يهبط بها من الخارج سلم حلزوني بعرض ٢م[٢].

وقد تأثرت المآذن المصرية السابقة من مئذنة جامع نور الدين محمود في الموصل بالعراق المعروفة بالحدباء لوجود ميل بها (٥٦٦-٥٦٨هـ/١١٧١-١١٧٣م) حيث يتم الصعود إليها عن طريق سلمين حلزونيين يدوران داخل البناء ولا يلتقيان إلا بأعلى المئذنة[٣].

وكذلك المنارة المظفرية التي تعتبر أبرز آثار مدينة أربيل[٤] قاطبة والمنارة لها بابان يفضيان إلى سلمين لا اتصال بينهما، ويدوران حول أسطوانة في داخل المنارة، فيكون في استطاعة شخصين الارتقاء إليهما في أن واحد دون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصلا إلى قمتهما وهي مبنية بالأجر (الطابوق)، وقد تهدمت قمتها بفعل عوامل الزمن وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مظفر الدين كوكبري صهر البطل صلاح الدين الأيوبي الذي حكم أربيل، فيما بين عامي (٥٩٢-٦٣٠هـ/ ١١٩٥-

---

(١) فهيم فتحي: أساليب التخطيط، ص٣٧٢؛ Creswell: A short Account of Early Muslim Architecture, the American University of Cairo, 1989, P 58.

(2) http://ar.wikipedia.org

(٣) عيسى سليمان: العمارات العربية الإسلامية في العراق، جزءان، ١٩٨٢م، ص١٦١.

(٤) هي مدينة عراقية قديمة وقد شهدت كثير من الأحداث على مر العصور منذ العصر الأكدي (٢٣٥٠-٢١٥٠ ق.م) حتى العصور الإسلامية المختلفة وهي نقطة الوصل بين مدينتي الموصل وكركوك إذ يبتعد عن الأولى (٨٦كم)، وعن الثانية (٩٣كم) وتقع أرضها ضمن منطقة محصورة بين وادي النهرين، راجع/ محمود عبدالجبار السامراني: أربيل مدينة الشمس، مجلة الفيصل، العدد ٩٤، السنة الثامنة، ربيع الثاني، ١٤٠٥هـ/ يناير ١٩٨٥، ص٢٢-٢٦.

١٢٣٣م) ويرجح أن تكون بنيت في عهده ويرجح أيضاً أن تكون هذه المنارة قد ألحقت بجامع كان موجوداً من قبل إذ تم العثور على أساسات جامع أقدم عهد من المنارة يعتقد أنه بنى في العصر الأموي أو أوائل العصر العباسي.

ويرى الدكتور/ أحمد قاسم جمعة، أن التأثير العراقي على العمارة المصرية في عنصر المآذن ظهر بوضوح وسوف نعرضها في النقاط التالية:

١) أن تصميم المئذنة الملوية[١] في الجامع الكبير في سامراء ذات القاعدة المكعبة والسلم الصاعد حولها من الخارج.

فقد تمثل في مئذنة الجامع الطولوني على الرغم من تشيدها بعد أربعة قرون في عام (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) كما تمثل بعد ذلك في مئذنة جامع أبي دلف المشيد حوالي عام (٢٤٧هـ/ ٨٦١م).

٢) ويظهر هنا التأثير المعماري الثاني في أن اشتملت مئذنة خانقاة الأمير قوصون بصحراء السيوطي (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) من عهد المماليك البحرية على سلمين فيما بين الدورة الأولى والثانية لا يرى الصاعد النازل منها، ومثل هذه الظاهرة وجدت من قبل في العراق بمدينة الموصل في مئذنة الجامع النوري من العهد الأتابكي (٥٦٦-٥٦٨هـ/١١٧٠-١١٧٢م) فقد اشتملت هي الأخرى على سلمين أحدهما يبدأ من أسفل قاعدتها المنشورية والآخر من أسفل بدنها الأسطواني ولا يلتقيان إلا في الأعلى وقد انتقلت الميزة الذكورة إلى المئذنة المظفرية في أربيل بالعراق (٥٨٦-٦٣٠هـ/١١٩٠-١٢٣٢م)[٢].

٣) وقد حقق المعمار بوجود السلمين تخفيف الثقل وزيادة تماسك وشدة المواد البنائية للبدن المحور الوسطي وحدة اندفاعها نحو الخارج.

ومن الجدير بالذكر أن جامع ابن طولون[٣] استوحى تخطيطه مباشرة من العمارة العباسية في سامراء، ولكن جاء تخطيط جامع أحمد بن طولون على هيئة مربع بينما خطط كل من جامع سامراء وجامع أبي دلف على هيئة مستطيل، وقد جاء تصميم المئذنة الملوية في الجامع الكبير في سامراء ذات القاعدة المكعبة والسلم الصاعد حولها من الخارج هي توضيح مدى تأثير العمارة العراقية على مصر.

وهناك تأثير معماري آخر تناول المآذن، فقد اشتملت مئذنة خانقاة الأمير قوصون بصحراء السيوطي (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) من عهد المماليك البحرية على سلمين فيما بين الدورة الأولى والثانية،

---

(١) تقع هذه المئذنة على بعد (٢٧.٣٠متراً) إلى شمال الجدار الشمالي للجامع وتقع على الخط المحوري الذي يربط بينهما وبين المحراب، وهي أقدم ما بقى من مآذن العراق تتميز بشكلها الحلزوني تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها السفلي (٣١.١٨متراً)، وطول ضلعها العلوي (٣٠.٥٠ متراً) وترتفع القاعدة عن مستوى الأرض بمقدار (٤٠.٢٠ متراً)، **راجع**/ عيسى سلمان: العمارات العربية الإسلامية في العراق، الجزء الأول، تخطيط مدن – مساجد، الجمهورية العراقية دار الرشيد، ١٩٨٢، ص١١٠ .

(٢) أحمد قاسم جمعة: بحث بعنوان التأثيرات المتبادلة بين العراق والمغرب.

(٣) ونجد ملوية أبي دلف مبنية من الأجر والجص، وتقع على بعد (٩.٥٠) من خارج السور الشمالي وعلى محور الباب الأوسط لهذا الضلع على نحو المحراب تستند على قاعدتين مربعتين أبعادها (١٠.٨٧×١٠.٦٠) زينت وجوهها بعدد (١٣) مشكاه في كل ضلع عدا الضلع الجنوبي منحتوي على عدد (١٠) مشكاه وذلك لوجود باب في وسطه يصعد منه إلى المنارة وعرض هذا المدخل (١.١٥م) أما طول كل مشكاه فيبلغ (١.٥٥م) وعرضها (٤٥سم)؛ عبدالله كامل موسى: تطور المئذنة، ص٦٦٤.

ولا يرى الصاعد النازل منها، ومثل هذه الظاهرة وجدت من قبل في العراق بمدينة الموصل في مئذنة الجامع النوري من العهد الأتابكي (٥٦٦-٥٦٨هـ/١١٧٠-١١٧٢م) فقد اشتملت هي الأخرى على سلمين أحدهما يبدأ من أسفل قاعدتها المنشورية والآخر من أسفل مدنها الأسطواني ولا يلتقيان إلا في الأعلى وانتقلت الميزة المذكورة إلى المئذنة المضفرية في أربيل بالعراق (٥٨٦-٦٣٠هـ/١١٩٠-١٢٣٢م) وقد حقق المعمار بوجود السلمين تخفيف الثقل وزيادة تماسك وشدة المواد البنائية للبدن بالمحور الوسطى وعدم اندفاعها نحو الخارج(١).

ويرى الدكتور "حجاجي إبراهيم محمد" أن رسائل الماجستير والدكتوراه في المآذن قالوا إن المئذنة الملوية ظهرت في ابن طولون تأثير من العراق عامة ومن سامراء خاصة، ولكن الصحيح أن بضاعتنا ردت إلينا فقد عرف الشكل الحلزوني في مباني كيلو باترا البطلمية فنلاحظ في الكيلو ٩٠ بين القصيد بالبحر الأحمر وجفت حمام كيلو باترا، وهو شكله حلزوني، وكذلك منشآت كيلو باترا في شمالي بسيوة في مرسى مطروح بالصحراء الغربية شكلها حلزوني فقد نقل هنا التصميم العراقيين عامة والمعمول خاصة هذا التصميم عندما جاء مصر ويكفي أن المدخل للهر الأكبر من عمل الخليفة المأمون.

أما في العصر الفاطمي فكلنا نجد المآذن المربع والمربع القبة لاسيما مأذنة جامع الجيوشي على جبل المقطم، والكل ذكر أن هذا التخطيط جاء من شمال أفريقيا وهو بالفعل جاء من شمال أفريقيا ولكنه مصري الأصل غرفة البطالمة في منار إسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع.

أما المآذن التي تنتهي بشكل خوذة فهي طراز المحارب الذي عرف في نهاية العصر الأيوبي القصير وبداية المملوكي البحري فنجد كل المباني الدينية في تلك الفترة تنتهي بخوذة، ويكفي أن جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي نجد أن القاعدة مربعة ويعلوها طراز خوذة.

ونرجع إلى التاريخ نجد أن المربع السفلي للعصر الفاطمي، إما الخوذة فقد بنائها الأمير بيبرس الجاشنكير ٧٠٢هـ في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونجد أن بخوذة جامع أحمد بن طولون التي تعمل قمة ملوية ابن طولون فقد بنائها في الترميم السلطان لاجين.

وبالنسبة لطراز ورقبة القبلة الذي تعلوه ما بين ثمرة الكمثرى فهو طراز محلى قد ظهر في عصر المماليك البرجية (الجراكسة) وعندما نجد الطراز مكرر أي مأذنتين فهو العصر المملوكي البرجي من عهد السلطان قنصوة الخوري أو أحد أمرائه(٢).

أما ظاهرة السلم المزدوج داخل المئذنة: (بحيث لا يرى الصاعد في أحداهما لا يرى الهابط)

ونقل هذا الأسلوب في بناء سلم المآذن إلى عمائر الممالك ما اشتملت مئذنة خانقاه قوصون بالقرافة الصغرى (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) على مثل هذا السلم المزدوج وتكرر هذا الأمر في مئذنة قايتباي بالجامع الأزهر (٨٧٣هـ/١٤٦٩م)، ومئذنة جامع أزبك اليوسفي (٩٠٠هـ/١٤٩٤-١٤٩٥م) ومئذنة خاير بك (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) وعندما شيد السلطان الغوري مئذنة للجامع الأزهر عام

(١) أحمد قاسم جمعة: من نفائس الفن المعماري في الموصل، مجلة الشعب، العدد الأول، ١٩٧٨، ص٥٦.

(2) Layla Ali Ibrahim: The Great Khangah of Emir Qawsun in Cairo, Mitteilungen des Deutschen Archaolo gischen Instituts, Abteilung Kairo, band 34, 1978, P43.

- حجاجي إبراهيم محمد: أسرار مصرية عبر عصور تاريخية

(٩١٥هـ/١٥١٠م) امتازت بوجود سلمين فيما بين دورتهما الأولى والثانية لا يرى الصاعد في إحداهما الآخر[١].

وفي العراق نجدها في مئذنة جامع النوري والتي أمر بإنشائها الملك الأتابكي نور الدين محمود بن زنكي (٥٦٦هـ/١١٧١م)، والتي تعرف بالحدباء بوجود سلمين حلزونيين بدوران داخل البدن ولا يلتقيان إلا في الحوض.

أيضاً ومئذنة أربيل (المئذنة المظفرية) والتي أمر ببنائها مظفر الدين كوكبري أحد ملوك الأقاليم في شمالي العراق (٥٨٠-٦٣٠هـ/١١٩٥-١٢٣٣م) ولم يبقى من مسجده سوى هذه المئذنة والتي تقع في غربي أربيل في منطقة خالية من العمران وقدم تهدم قسم منها، وتتميز أيضاً بوجود سلمين حلزنيين يدوران بداخلها ولا يلتقيان إلا في الحوض.

ظاهرة المقرنصات التي على شكل ترس في المئذنة:

وجدت في المآذن المملوكية بهذا الشكل من المقرنصات منها مئذنة قوصون بجبانة السيوطي (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) التي يعلو الشريط الكتابي فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات يتميز الصف الأخير منها بأن له شكل على هيئة ترس دائري (أسنان المنشار)[٢]، ومئذنة مجموعة السلطان إينال بجبانة المماليك (٨٥٥-٨٦٠هـ/١٤٥١-١٤٥٦م).

وهذا الشكل الجديد من المقرنصات[٣] لم يقتصر على المآذن فقط، ولكنه امتد إلى بعض العناصر الأخرى منها شكل زخرفي جديد هيئة أسنان المنشار[٤]، والذي عرف أيضاً باسم الخوذة، وكانت تتواجد في أركان الشرفات التي تتوج الواجهات المطلة على الصحن في بعض المساجد الدينية مثل جامع أحمد بن طولون، وتنسب إلى تجديدات لاجين عام (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، وتليها التي كانت موجودة في جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) ثم جامع المارداني (٧٤٠هـ/١٣٤٠م) التي تتوج شرافات الأركان وتتوسط كل واجهات الصحن وتتميز بحليتها الخزفية.

---

(١) عبدالله كامل موسى: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص٧٠٧؛ ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٧٦؛ سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور، ناشر مطبعة شفيق بغداد، ١٩٦٣، ص٤٣؛ عادل شريف علام: التأثيرات المعمارية بين مصر والعراق، ص٤٢٥.

(٢) عبدالله كامل موسى: تطور المئذنة المصرية، ص٢١٣.

(٣) هاني محمد رضا حمزة: الترب المملوكية، ص٧٩، هامش٣٠.

(٤) محمد مصطفى نجيب: مسجد المارداني، ص٤٩١؛ وللاستزادة عن المآذن المصرية/ حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد، ص١٥٠؛ سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٣، ص١٢٨؛ أحمد عبدالرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص١٨١؛ فريد شافعي: العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص١٧٣؛ محمد عبدالستار عثمان: دراسات آثرية، ص١٩٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٢٢٣؛ فهيم فتحي: أساليب التخطيط، ص٣٧٣؛ حسني نويصر: العمارة الإسلامية، ص١٩٦؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ص٣٦؛ Shafei(F): West Islamic Influences on Architecture in Egypt Reprint from the Bulletin of the Faculty of Arts Cairo University, 1954, P13.

الخاتمة

أثبتت الدراسة أن التأثير العراقي على المئذنة المصرية في وجود المئذنة ذات السلمين، حيث نحد في المآذن المصرية تشمل من داخلها على سلمين بحيث لا يرى الصاعد في إحداهما الهابط من السلم الآخر وتمثل في مئذنة أزبك اليوسفي (٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ومئذنة خاير بك، مئذنة الغوري بالجامع الأزهر.

أثبتت الدراسة أن تصميم المئذنة الملوية في الجامع الكبير في سامراء فإن القاعدة والسلم الصاعد حولها من الخارج وقد انتقل إلى مئذنة الجامع الطولوني على الرغم من تشيدها بعد أربعة قرون.

أثبت الدراسة أن المقرنصات من التأثيرات العراقية على عمارتنا الإسلامية حيث أقدم مثال استعمال المقرنص في العراق نراه في الباب العامة في سامراء وفي بناء مسجد قصر الأخيضر.

إن المآذن اختلفت في أشكالها وطرازها باختلاف الأقاليم الإسلامية، حيث بنيت الصوامع المربعة بسوريا وشمال أفريقيا ومآذن مصر الأسطوانية والمضلعة ومآذن تركيا الممشوقة ذات البدن الأسطواني المستدق أما في العراق فنرى تنوعاً في أشكال المآذن، حيث نجد منها الأسطوانية والملوية والمثمنة والمآذن ذات البدن الأسطواني المنتظم هي أكثر شيوعاً في العراق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم محمد بن عبدالكريم الجزري الكامل في التاريخ، مصر، ١٣٧٥هـ.
- ابن تغردي بردي (جمال الدين بن أبي المحاسن) (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٥، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
- ابن خلكات، أبو العباس شمس أحمد وفيات الأعيان وأبناء الزمان، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٢٧م.
- ابن منظور، محمد كرم بن علي (٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، مادة روق، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٥٢م.
- المقريزي: اتعاظ الحث بإخبار الأئمة الفاطمية، الجزء الثالث، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- المقريزي: المواعظ والاعتبار، الجزء الرابع.

ثانياً: المراجع العربية:

- أحمد عبدالرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي.
- أحمد قاسم جمعة: من نفائس الفئة المعماري في الموصل، مجلة السقب، العدد الأول، ١٩٧٨م.
- اعتماد يوسف القيصري: التراث الحضاري المعماري الإسلامي في العراق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الهيئة العامة للآثار، بغداد.
- الحباني كاظم: المآذن نشأتها وعمارتها في الأقطار الإسلامية، مقالة نشرت في مجلة كلية الشريعة، بغداد، ١٩٦٥م.
- زكي محمد حسن: تطور المآذن بحث نشر في مجلة الكتاب الجزء الحادي عشر، السنة الأولى.
- السيد عبدالعزيز سالم: المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني بالقاهرة، ١٩٥٩م.
- عبدالله كامل موسى: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- عيسى سليمان: العمارات العربية الإسلامية في العراق، خرزان، جار الرشيد، ١٩٨٢م.
- فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.
- فهيم فتحي إبراهيم عطاالله أحمد حجازي: دراسة مقارنة الأساليب التخطيط في العمائر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي، المكتب العربي للمعارف.
- كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر.
- محمد حمزة إسماعيل الحداد: الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، المجلد الأول، ١٩٩٠.

- محمود عبدالجبار السامرائي: أربيل مدينة الشمس، مجلة الفيصل، العدد ٩٤، السنة الثامنة، ربيع الثاني، ١٤٠٥هـ/يناير ١٩٨٥م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Creswell, A short Account of Early Muslim Architecture, the American University of Cairo, 1989.
- K.A.C. Creswell, Early Muslin Architecture Early Abbosids Umayyad's of Cordova Aghlabids tulunids and Samaniels Hacker Art Books, New York, 1979.
- Kaml Eddine (SAMAH), The Birth and Revolution of minarets in Island in the Bullet of the faculty of Cairo.
- Layla Ali Ibrahim, the Great Khangah of Emir Qaw sun in Cairo Mitteilungen des Deutschen Archaolo gischen Institutes Abteilung Cairo, 1978.
- Shafei (F) West Islamic Influences on Architecture in Egypt Reprint from the Bulletin of the faculty of Arts Cairo University 1954.

Minaret in both Egypt and Iraq

Archaeological study

By

Asma Syed Ahmed Selim

Prof. Dr. Hajjajy Ibrahim Mohamed

Professor of Islamic Archeology, Higher Institute of Tourism, Hurghada

Prof. Dr. Jamal Abdel Ati Khairallah

Professor, Department of Archeology, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

This study aims to study the Egyptian minaret in detail and the Iraqi influence on it with a comparative study between the Egyptian minaret and the Iraqi minaret in terms of knowledge of building materials, the general composition of the minaret with mentioning the styles of Iraqi minarets; This is done through a detailed analytical study.

Keywords: Minarets in Egypt, minarets in Iraq, minarets, archaeological studies.